جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى ـ كلية التربية

مناهج دراسة الشعر العباسي (132 - 354هـ) عند الباحثين العراقيين في القرن العشرين

رسالة تقدمت بها الطالبة

نردين رضا كريم العميري

الى مجلس كلية التربية في جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة ماجستير في
اللغة العربية وآدابها

باشراف الدكتور

مشحن حردان مظلوم الدليمي

1425هـ

2004م

مدخل:

الأديب أي أديب نتاج بيئته، وغرس أرضه وسمائه وقومه. وللأديب ببيئته صلة قوية وتأثير متبادل، فلا يملك الا ان يحمل في نفسيته اثارها الطبيعية والتأريخية والحيوية التي سرعان ما تنعكس على أدبه، وتلونه بألوانها المختلفة. ولكن ((لكل بيئة منفردة مزاياها وخصائصها التي تنفرد بها بين الأقاليم وتلك المزايا والخصائص هي التي توجه الحياة الأدبية فيها وتؤثر في سيرها، وباختلاف هذه المميزات المادية والمعنوية تختلف حياة الاقليم الأدبية، ويختلف نظام سيرها، من نشأة وتدرج وتفرع)) [1] لذلك يستلزم من الباحث في احيان كثيرة أن يمرّ في دراسته على البيئة التي نشأ فيها الأديب، وترعرع في احضانها فنه الأدبي، ليعرف بها وبأحوالها العامة لما لها من دور فعال في كل منهما. [2] فالإقليمية الأدبية ضرب من الدراسة يعمد اليه البحث العلمي لحل المركب الى بسائطه، ومن ثم يجري بحث هذه البسائط شيئاً فشيئاً حتى يصل الباحث بهذا الفرز الى معرفة المركب معرفة دقيقة. [3]

ومن أشهر أعلام الدراسة الاقليمية (تين) الذي درس النص الأدبي بالاستناد الى قوانين ثلاثة، هي: (الجنس، والزمان أو العصر، والمكان أو البيئة) وقد سار في ذلك على نهج استاذه (سانت بيف). [4] ويهمنا من نظرية (تين) قانون البيئة، ويقصد به ((الوسط الجغرافي والمكاني الذي ينشأ فيه أفراد الأمة نشوءاً يعدّهم ليمارسوا حياة مشتركة في العادات والاخلاق والروح الاجتماعية)) [5] ومذهبه هذا يدل على أن الانسان ليس حراً في بيئته، بل يخضع لأوضاع حتمية تتحكم في أدبه وفي حياته العقلية بصورة كلية. فربط بين الظروف المادية والظروف المعنوية، وقاس ظروف الحياة العقلية على ظروف الحياة المادية. [6]

---

[1] في الادب المصري (فكرة ومنهج)، أمين الخولي، مطبعة الاعتماد والمعارف، ط1، مصر 1943: 20-21.

[2] ينظر: الانواع الادبيية (مذاهب ومدارس) في الادب المقارن، شفيق البقاعي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط1، بيروت 1985: 201. وينظر كذلك، المذاهب النقدية (دراسة وتطبيق)، عمر الطالب، دار الكتب، الموصل 1993: 86-87.

[3] ينظر: في الأدب المصري (فكرة ومنهج): 35.

[4] ينظر: البحث الادبي (طبيعته، مناهجه، اصوله، مصادره): 85-95.

[5] المصدر نفسه: 85.

[6] ينظر: الأنواع الادبية (مذاهب ومدارس): 207.

سماتها:

من البدهي أن يكون للعناية بقانون البيئة في الدراسة الأدبية أثر كبير في تعميق البحث في موضوع الدراسة، وفي تتبع مراحل نموه وتطوره أو ضعفه وانكماشه. فضلاً عما تحققه تلك العناية البيئية من اضاءة لأدب البيئات المغمورة، والاطلاع على جوانبها الخفية ونصوصها المجهولة. [1] ثم أن أدب البيئات يقدم لنا الواناً من الابداع فيها شيء من التمايز بعضها عن البعض الاخر. لذلك يمكن رصد الآثار البيئية التي تؤثر في الأدب تأثيراً ايجابياً والعمل على تطويرها قدر المستطاع لتوفير المناخ الملائم لنمو الأعمال الابداعية. ومن جانب اخر فان المنهج البيئي يمكن أن يقدم لنا تصوراً واضحاً عن تطور الفكر الأدبي في هذه البيئة أو تلك على مرّ العصور. ومن هنا نستطيع أن نطلع بقدر معين على العناصر الحيوية الفاعلة في الادب في حالتي سموه أو هبوطه، فنسعى الى تبني الحالة الاولى وتجاوز الثانية، بالعمل على تهيئة البيئة الملائمة لنمو الأدب وارتفاع مستواه قدر المستطاع.

فالبيئة إذن تترك أثارها في الحياة المادية والمعنوية، ومهمة الباحث تتوجه الى تحديد تلك الاثار، وبيان بصماتها في اثار المبدعين. وهذا الضرب من الدراسة يوضح أيضاً مدى تأثر المبدع ببيئته، كما يوضح نوعية الصلات بما حوله. [2] فضلاً عن ذلك فان هذا النوع من الدراسة يؤدي الى بروز أثر الجنس عند كل أمة من الامم، [3] وهذا من شأنه إفادة الدراسات الادبية المقارنة.

عيوبها:

ولايعني هذا أن النظرية الاقليمية لم يفتها شيء، بل غاب عنها ((أن الأدب العربي له واقعه الخاص في مفهومه الذي صدر عنه، وصوره التي مضى بها، فأنه لذلك يجب أن يفيد من المناهج المحدثة بقدر ما يتطابق معها، غاب عنها ذلك في

---

[1] ينظر: بيئات الادب العربي في الدراسات المعاصرة، يوسف حسن نوفل، دار المريخ للنشر، الرياض 1984: 187-188.

[2] ينظر: مناهج الدراسة الادبية في الادب العربي: 160-190.

[3] ينظر: أصول البحث الأدبي ومناهجه (دراسة عملية): 175.

الاعتبار العلمي وغاب عنها كذلك في الاعتبار الحيوي من أن حق الحياة الرشيدة للذين ورثوا هذا الادب العربي والذين يتكلمون العربية اليوم أن يفيقوا على إدراك الاشتراك والتوحد لاعلى التشبث بالافتراق والتميز)). [1]

وقد وجهت بعض الانتقادات للمعنين بالدراسة البيئية والقائلين بأثرها في الأدب منها، أن البيئة لاتخلق المبدعين، فهناك فرق بين المبدع الذي نشأ في بيئة ما وبين الشخص الاخر غير المبدع الذي نشأ في البيئة نفسها، وتعرض للمؤثرات ذاتها. ومنها أنها تهمل التجربة الشعورية للمبدعين، ولاتهتم بنفسياتهم، ومنها ايضاً أن المبدعين في غالب الاحيان لم يعيشوا في بيئة واحدة، بل كانت مراحل حياتهم في بيئات غير مستقرة. [2] فالابداع لايعرف الحدود وإنما تؤثر فيه مؤثرات اخرى كثيرة غير البيئة. وبعد فأن ((الاقليمية تشغل حيزاً واسعاً في الحياة الادبية هو هذه العناصر المشتركة بين الادباء جميعاً، ولكن تفاعل كل واحد من هؤلاء مع هذه العناصر واستجابته لها أو تمرده عليها أو خضوعه لها أو تأبيه عليها، ومدى انطلاقه معها أو تخلفه عنها مما لاتملك النظرية الاقليمية أن تفسره تفسيراً مطمئناً)) [3]

وعلى الرغم من تلك الانتقادات ((فإن ذاتية الفن لاتنكر أثر البيئة، إنما حتمية البيئة في الأدب قد لاتكون فكرة صائبة، لأن المنهج في دراسة الأدب يخطيء هذه الفكرة، ولاينكر مالها من أثر جزئي لا كلي)). [4] وليس معنى ذلك اننا نرفض قانون البيئة، فهو قانون صحيح في أصله، ولكن ينبغي أن نحتاط معه ونحن ندرس أدبنا العربي في اقاليمه وبيئاته المختلفة، إذ يمكن أن يتوقف عن عمله احياناً، ولكن هذا لايعني انعدام اثاره. [5]

إذن على متبع هذا المنهج أن يكون حذراً ودقيقاً في تناوله، لئلا يضلله في دراسته للأدب العربي حسب اقاليمه الجغرافية أو امصاره الحضارية.

---

[1] مناهج الدراسة الادبية في الادب العربي: 220.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 184–188. وينظر كذلك البحث الادبي (طبيعته، مناهجه، اصوله، مصادره): 90.

[3] أصول البحث الادبي ومناهجه (البحث في مصادر التاريخ الديني): 175.

[4] الانواع الادبية (مذاهب ومدارس): 209.

[5] ينظر: البحث الادبي (طبيعته، مناهجه، اصوله، مصادره): 91.

وجود الاقليمية في التاليف العربي القديم، والاهتمام بها في الدراسات العربية الحديثة:

لقد تنبه العلماء العرب القدماء الى الاثر الاقليمي، فاولوا عنايتهم بالبيئة ومدى تأثيرها على الأديب وتأثره بها، ونجد الاشارة الى ذلك عند ابن سلام الجمحي (ت231هـ)[1]، والقاضي الجرجاني[2]، وابن رشيق القيرواني (ت463هـ)[3]، والثعالبي (ت429هـ)[4] وغيرهم.

كما نجد الاهتمام ذاته عند الباحثين العرب المحدثين ومنهم جرجي زيدان،[5] وأمين الخولي[6] الذي خصص دراسة كاملة عن النظرية الاقليمية، وتناولها بالعرض شكري فيصل في أحد كتبه المهمة عن مناهج الدراسة. [7] كما تطرق أمين الخولي الى الى الاقليمية في دراسة أخرى له. [8] وتحدث عنها . الاقليمية . ايضاً عز الدين اسماعيل[9]، وعمر الطالب[10]، محللين ومناقشين وناقدين. ولايفوتنا أن نذكر يوسف حسن نوفل الذي ناقش في أحد كتبه المهمة في هذا الميدان . تناول الباحثين أدب البيئات العربية المعاصر من خلال ثلاثة اتجاهات هي: التناول البيئي الخاص،

---

(1) ينظر: طبقات فحول الشعراء، 1: 215–277.

(2) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت 1966: 17–18.

(3) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده، أبو الحسن بن رشيق القيراوني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، ط4، بيروت 1972، ج1: 150.

(4) ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط2، مصر 1956، ج1: 17–22. وقد الف الثعالبي كتابه هذا على وفق أقاليم الادب العربي في عصره.

(5) ينظر: تاريخ اداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مطبعة الهلال، القاهرة 1931، ج1: 61–64.

(6) ينظر: في الادب المصري (فكرة ومنهج): 44–45.

(7) ينظر: مناهج الدراسة الادبية في الادب العربي: 158–220.

(8) ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، دار المعرفة، ط1، 1961.

(9) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)، عز الدين اسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، بغداد 1986: 262 . 263.

(10) ينظر: مدخل الى مناهج الدراسات الأدبية، عمر محمد الطالب، مطابع ومنشورات دار عكاظ، المغرب 1988: 130 . 174.

والتناول البيئي العام، والتناول الشمولي. [1] وهكذا يتطور النظر الى البحث البيئي في الدراسات العربية حتى يصبح أوسع مدى وأكثر تخصصاً وشمولية كما سنرى.

تعدد الدراسات الاقليمية الأكاديمية عند الباحثين العرب المحدثين:

ثم كثرت الدراسات الأكاديمية المعنية بالبيئة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وظهرت في مصر أولاً، وفي أقطار الوطن العربي الأخرى بعد ذلك. [2] ومن الباحثين العرب الذين درسوا الشعر العباسي للمدة (132هـ . 354هـ) دراسة إقليمية ونالوا عنها درجات علمية عالية (الماجستير والدكتوراه) من مختلف الجامعات العربية، أقول منهم على سبيل الذكر لا الحصر احسان رشيد عباس،[3] ويوسف عبد القادر خليف[4]، وأحمد كمال زكي[5]، ونزار وصفي اللبدي[6]، وياسين يوسف عايش خليل[7]، وقد ساهمت هذه الدراسات في خدمة المنهج الاقليمي وتطوره وانتشاره.

الدراسات الاقليمية عند الباحثين العراقيين المحدثين:

أما الباحثون العراقيون المحدثون، فقد درسوا البيئة وتأثيراتها في شعر الشاعر، وتأثر الشاعر بها. فمنهم من جعل دراسته حسب الاقاليم الجغرافية، ومنهم من جعلها حسب الأمصار الحضارية، واخرون ربطوا بين البيئة والاتجاه الفني في دراساتهم. وبما أن الشاعر نتاج بيئته، فقد جعلوا شعره مرآة عاكسة لما يجري فيها، وعدوا هذا الشعر وثيقة تأريخية من وثائق عصره. ورأيت أن أقسم الدراسات التي تجمعت لدي إلى

---

[1] ينظر: بيئات الادب العربي في الدراسات المعاصرة: 9-47.

[2] ينظر: مدخل الى مناهج الدراسات الادبية: 168.

[3] ينظر: دراسته، حياة الشعر العربي في صقلية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب . جامعة القاهرة، 1954.

[4] ينظر: دراسته، حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب . جامعة القاهرة، 1956.

[5] ينظر: دراسته، الحياة الادبية في مصر الى نهاية القرن الثاني، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب . جامعة القاهرة 1959.

[6] ينظر: دراسته، الحياة الادبية والثقافية في نابلس وماحولها في العصر العباسي، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الاردنية، 1987.

[7] ينظر: دراسته، الشعر في بلاد الشام والجزيرة من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الاردنية، 1991.

قسمين رئيسين تبعاً لطبيعة موضوعها، أولهما: دراسات الفن الشعري حسب الأقاليم الجغرافية، والثاني: دراسات الشعر في الأمصار الحضارية. أما الدراسات التي ربطت بين البيئة والاتجاه الفني، فتوزعت على القسمين المذكورين ايضاً بحسب توجه موضوعها (إقليم، أو مدينة). والتزمت بمراعاة التسلسل الزمني عند عرضي للدراسات في هذا القسم أو ذاك.

1. **<u>دراسات الفن الشعري حسب الأقاليم الجغرافية</u>**:

<u>كتب جميل سعيد (الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين)</u>

اتبع الباحث في دراسته هذه المنهج الإقليمي، وبين أن فكرة دراسة الأدب العربي على هذا النحو فكرة جديدة أخذ بها الغربيون منذ زمن بعيد. كما بين أن سبب اتجاه الناس إليها، أنهم ألفوا دراسة الأدب العربي . في شتى بقاع المعمورة . على أنه وحدة مترامية متماسكة، يبحثونه من أقدم عصوره متخذين من الأحداث السياسية حواجز وحدوداً يقيمونها فيه، فيقسمونه إلى أدب جاهلي، ثم صدر الاسلام، ثم أدب أموي، وعباسي، وهكذا. [1] وقد درجوا على هذا، واهملوا الاعتبارات الاقليمية، لاسيما مايخص البيئة الطبيعية منها. ويردّ الباحث على ذلك، بأن الأدب العربي الاسلامي، لاسيما القديم منه، ظل متصلاً برجال السياسة، وظل اكثره يدور على مديحهم وهجائهم. [2]

ولقد اتبع الباحث في دراسته نظرية (تين) في تحديده للزمان والمكان (البيئة)، وربط بين الفن والبيئة، ويتجلى ذلك في قوله: ((فهذا بحث، أقدمه في فن من فنون الشعر العربي هو فن الوصف، وفي بيئة خاصة هي بيئة العراق)) [3] فتتبع فن الوصف تتبعاً تاريخياً منذ عصر ماقبل الاسلام، وصولاً الى العصر العباسي. ثم

---

[1] ينظر: الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين، جميل سعيد، مطبعة وزارة المعارف، ط1، بغداد 1948: 1. وهذه الدراسة هي أول أطروحة دكتوراه يقدمها طالب عراقي الى جامعة من الجامعات، وأول بحث في العربية يبحث في إقليم من الاقاليم العربية. ويذهب الباحث فيه الى أن بيئته العراق وحدة لها ميزاتها وخصائصها التي تمتاز بها عن الاداب في البيئات الاخرى، لاسيما بيئة الصحراء الجاهلية التي ظل الشعر العربي في مختلف الاقطار العربية ينظر اليها ويتعلق بها.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 1.

[3] الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين: 3.

عرّف بالعراق وشعره، وبيئته الطبيعية وأثرها في شعر العراق عامة، وفي شعر الوصف خاصة. ثم تناول وصف البيئة الطبيعية للعراق بكل عناصرها ومحتوياتها من أرض وعشب وورد وشجر وماء وهواء وروض وربيع ... الخ. وتناول ايضاً أوصافاً أخرى كالصيد، والسفن، والحرب، والطعام، ومجالس الشراب، والغناء، والقصور والبرك[1]، وغيرها من الأوصاف.

وحاول أن يوضح جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والطبيعية، وغيرها من جوانب الحياة الاخرى من أوصاف الشعراء لها. لأنه كان يرى أن شعر الوصف مرآة تنعكس عليها صور الحياة المختلفة، وجوانبها المتعددة في العراق. [2] وراح يعظم من أثر البيئة والثقافات في فن الوصف. فيقرر أن الشاعر الوصاف عندما يستعيرُ القطعة الوصفية من بيئته ومحيطه، وحين يستمد تشبيهاته واستعاراته، ونظراته الى الموضوع الموصوف، لاسيما في ذلك الوصف الذي يمزج فيه الشاعر خلجاته، ويخلط به نفسه، ويفيض عليه من عقليته وثقافته، فأن مثل هذه الأوصاف تكون وثيقة الصلة بحياة الشاعر وعاداته وتفكيره. [3] وفي هذا يلتقي الباحث مع أمين الخولي الذي يرى أن البيئة لابدّ ((أن تترك أثرها فيمن فيها من الاحياء، اضياء أو شخاصاً، وعلى الدارس أن ينطلق باحثاً عن هذا الاثر)). [4] ويحاول سعيد أن يوضح جانباً من هذا الأثر في مثال من شعر الشريف الرضي، وهو قوله: [5]

وذي نضد لايقطع الطرف عرضه إذا قيل نجدي المباح تغورا
تخال به ركني أبان وشابه إذا أطلا ورجراجاً من الرحل أعفرا
مدّ بالأعناق مقعقع رعده كعود الملا إن عضه العبء جرجرا

فيرى أن البيئة والثقافة واضحين في شعر الرضي، وأنه تأثر في نظره الى الجبل فوصفه. فظهر أثر البيئة العراقية ذات السفن والملاحين والأنهار، والقصب والأهوار،

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: 5.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 6–13.

[3] ينظر: المصدر نفسه: 22.

[4] في الادب المصري (فكرة ومنهج): 71.

[5] ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت 1961، مج1: 507.

في شعره كما ظهر فيه ايضاً أثر البيئة البدوية التي ملأ الرضي نفسه من اشعارها وثقافتها. [1] وذهب الى أن هذا الشعر أكثر طواعية في الوصف الأدبي من النثر، لاحتواء الوصف الادبي على الخيال، والشعر أطوع في التعبيرات التي يقصد بها إثارة الخيال من النثر. [2] ولانظن أن هذا الحكم مطرداً في جميع الأحوال والاوقات، لأن الخيال ليس وقفاً على الشعر دون النثر. فالاديب المتمكن من فنه قد يأتي بأوصاف فيها من طواعية الخيال ما لايمكن أن يأتي به كثير من الشعراء، لاسيما من اولئك الذين لم يتمكنوا من أدواتهم الفنية.

وتحدث كذلك عن ازدهار شعر العرا ق في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وعلله باكثار الشعراء من وصف الحروب وسلاحها وعددها، ومايتبعها من خراب في الميدان وكذلك لقصور وما يلحقها من برك وحدائق، ووصف الكتابة وما إليها من شعر وكتب، ووصف الطعام واللباس والانية، وما الى ذلك. [3] وهكذا يمضي متحدثاً عن كل موضوع من موضوعات الوصف على حدة، متخذاً من الشواهد الشعرية دليلاً على أحكامه وآرائه ونظراته. ومما يؤاخذ عليه أنه كان يعتمد في ايراد شواهده الشعرية على شعر الشعراء المشهورين، ولم ينظر الى المغمورين منهم. وهذا يعد عيباً في منهجه. فضلاً عن أنه لم يستطع أن يتفادى اكبر عيب من عيوب المنهج التأريخي، الا وهو إقامة دراسة فنية للوصف الذي درسه فلم يوفر لنا الفرصة في التعرف على أساليب هذا الفن وصوره ولغته وموسيقاه في شعر الشعراء العراقيين في غضون المدة التي حددها للدراسة.

ويخرج الباحث بنتيجة مفادها أن فن الوصف أصدق فنون الشعر تمثيلاً للبيئة الطبيعية، والبيئة الاجتماعية اللتان يصدر عنهما. وأن دراسة هذا الفن في بيئتين مختلفتين، أو متقاربتين خير ما يكن دراسته من الفنون القولية لمعرفة مابين هاتين

---

[1] ينظر: الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين: 23.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 29–30.

[3] ينظر: المصدر نفسه: 311.

البيئتين من اختلاف أو تقارب. [1] وترسخ عنده بأن فن الوصف صورة للبيئة، فموضوعاته تضيق وتتسع تبعاً لضيق محيط البيئة واتساعه، وتبعاً لكثرة ما في هذا المحيط من تنوع واختلاف. ومن هذه القناعة ينطلق ليصدر حكمه على موضوعات الوصف في شعر العراق إبان تلك المرحلة، بأنها اكثر تنوعاً من موضوعات الوصف في الشعر الجاهلي البدوي، ذلك لأن بيئة العراق النهرية الحضرية أكثر تنوعاً من بيئة الصحراء. ولكن مع ذلك لم يستطع الشعراء العراقيون أن يتخلصوا من سيطرة أنموذج الشعر الجاهلي البدوي. [2]

وفي نهاية دراسته يدعو الى اتباع منهجه، فيقول: ((وإني أرجو أن يلتفت الباحثون في الأدب، فيعنى كل بأدب بيئته واقليمه، ففي هذا مافيه من خير الادب العربي عامة)). [3] وهكذا يبدو متحمساً لإجراء هذا المنهج على دراسات الادب العربي. ونحن مع حماس الباحث في دراسته لأن حماسه ينطلق من علمية وموضوعية. ولكن يحدث في أحيان كثيرة أن يتعصب الباحث لموضوعه أو منهجه، ولايرى فيه الا الجانب الايجابي المشرق، بل يحاول أن يطوع أفكاره مسبقاً بهذا الاتجاه، ويضطره ذلك الى أن يتغافل عن كثير من الحقائق العلمية التي تعاكس توجهه نتيجة مثل هذا التعصب. لذلك فان الذي نتمثله هو الحماس البناء، والموضوعية في البحث العلمي.

ودرس حسين صبيح العلاق موضوع (الشعراء الكتّاب في العراق في القرن الثالث الهجري). ويذكر في مقدمة بحثه بأن مسألة تحديد البيئة والزمن هي مشكلة تواجه أي باحث. لذلك يدعو الى الالتزام بهما، لأنه يعدهما مجالين منظمين لمنهج البحث وموضوع الدراسة. ومن هنا عمد الى تحديد (العراق) بيئة، و(القرن الثالث الهجري) زمناً. وعلى هذا الاساس فأنه يكون قد اتبع نظرية (تين) في تحديده للزمان

---

[1] ينظر: الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين: 46-61.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 461-463.

[3] المصدر نفسه: 469.

والمكان. [1] ويبين العلاق أن منهج بحثه محكوم بالفرضية الفكرية الآتية، التي حرصنا على اقتباسها كاملة على طولها. يقول: ((إن الفن والأدب أحد صوره، تعبير العصر ونتاج القيم الفنية السائدة التي لم تكن غير انعكاس صادق لمعطيات الواقع المادي والفكري والنفسي للمجتمع، وأن ثمة علاقة تأثر وتأثير قائمة أبداً، بين هذه القيم وذلك الواقع، وعلى أساس من هذه العلاقة تفقد تلك القيم صفة الثبوت وتصبح في حال من التغير الدائم، المنظور حيناً وغير المنظور حيناً آخر وفقاً لوتائر التحولات الحضارية، المادية والمعنوية التي تلم بالمجتمع)). ويمضي في قوله: ((وعلى أساس من هذه العلاقة . أيضاً . يمكن القول بأنه ليس ثمة جديد محض في الشعر، لأن الشعر ظاهرة حية من ظواهر الابداع الانساني إنما يتطور بتطور المجتمع الذي ينشأ فيه، وبالقدر الذي تسمح به تقاليد العصر الادبية. فما كان جنيناً في رحم حقبة فنية سابقة قد ينمو غرضاً شعرياً متفرداً في حقبة أدبية لاحقة))[2]

فهو بهذه الفرضية يحاول أن يشرح منهجه، ويعرض مضمون دراسته. فيؤكد تأثير البيئة في نتاجها الأدبي، واستجابة هذا النتاج لتلك المؤثرات البيئية بنواحيها المختلفة، وأنه يتطور إذا سمحت له بذلك. فهو كائن حي ينمو بمرور الزمن إذا توفرت له بيئة صالحة للنمو والازدهار. فالعلاق هنا يبدو مؤمناً بنظرية (برونتير) في تطور الأنواع الأدبية ونموها كما ينمو الكائن الحي ويتطور. [3] ونظرية برونتير هذه اخذت طريقها في الفكر المنهجي العربي الحديث، فهذا شوقي ضيف يؤيدها في قوله: ((والنظرية الاساسية عند برونتير صحيحة، فالأنواع الادبية تنشأ وتنمو وتتطور متدرجة من زمن الى زمن كما تنشأ وتنمو وتتطور الكائنات العضوية)). [4]

لقد كشف الباحث في دراسته عن حياة الكتابة ومكانة الكتاب والشعراء الكتاب في هذا القرن. وأسهب في حديثه عن عالمهم الشعري حيث بين التطور الفني الذي

---

[1] ينظر: الشعراء الكتّاب في العراق في القرن الثالث الهجري، حسين صبيح العلاق، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب . جامعة بغداد 1974: 8.

[2] المصدر نفسه: 11.

[3] ينظر: في الادب والنقد: 98–99.

[4] البحث الادبي (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره): 94.

حصل في أشعارهم، من حيث الموضوع واللغة وأسلوب التعبير، عارضاً آراء ومواقف العلماء من قدماء ومحدثين، متبعاً الطريقة العلمية في مناقشة تلك الاراء . [1] ورأى ان يتتبع مصطلح (الشعراء الكتاب) تتبعاً تاريخياً، حتى استوى مصطلحاً ذا مدلول نقدي وأدبي في القرن الرابع الهجري عند ابن الحاجب النعمان. [2] ودرس أيضاً الفنون الشعرية والموضوعات الجديدة والرئيسية لدى هؤلاء الشعراء الكتاب، معتمداً التحليل والاستقصاء والاستقراء، وحصر تلك الفنون في (السخرية، والخمريات، والمجون، والغزل والمديح، والرثاء، والفخر والهجاء). ولم تكن دراسته للشعر بمعزل عن البيئة، بل وجد أن البيئة تنعكس بوضوح على ذلك الشعر. فذكر مثلاً أن طغيان الخمر والمجون على شعر الشعراء ومنهم الكتاب في هذا القرن لايمكن أن ينظر إليها بمعزل عما كان يجري في البيئة من تحولات حضارية أدت الى شيوع هذه الموجة الخمرية في المجتمع العباسي، ومن ثم انعكاسها في أدب العصر. أما الموضوعات التقليدية، فقد توسم فيها الجدة كل الجدة، لما أسبغ عليها من روح العصر الحضاري وذوقه وترفه وصوره. فمالت لغتها الى الليونة، ورق نسيجها وسهل، واغتنت صورها بالالوان الجديدة المستمدة من طبيعة العراق النهرية، ومعطياته الحضارية والفكرية. [3]

وتناول ثقافة الشعراء الكتاب، فوجد أنها كانت متنوعة، وأن شعرهم يشهد بذلك ويدل عليه، إذ أدخلوا فيه الكثير من المصطلحات والألفاظ، والتشبيهات المنتزعة من البيئة الكتابية والديوانية، ومما كانوا قد استمدوه من ألفاظ القران الكريم، والحديث الشريف، ومأثور القول. ولفت انتباهه الى أنهم عنوا بقصيدة الحكاية والحوار، وعلل ذلك وأرجعه الى غلبة العنصر العقلي انذاك، وشيوع مجالس الحوار والمناظرة في حواضر العراق: البصرة، والكوفة، وبغداد. وذهب الى أن الموقف العقلي لديهم كان

---

[1] ينظر: الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري: 12.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 12–17. وابن الحاجب النعمان: هو هبة الله بن الحسن ابو الحسن الحاجب، كان من أهل الفضل والأدب، وكان شاعراً مليح الشعر، (ت428هـ).(نزهة الألباء في طبقات الادباء، لأبي البركات الانباري (577هـ). تحقيق ابراهيم السامرائي، مكتبة الاندلس، ط2، بغداد 1970: 255–256).

[3] ينظر: الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري: 463.

وراء عزوفهم عن السخف والزهد، فأشعارهم افتقرت لهذين اللونين الا ماجاء نادراً لا يشكل ظاهرة لديهم. [1]

ومما يحمد عليه أنه عرّف بالخصائص الفنية لشعر الشعراء الكتاب من حيث، بناء القصيدة، واللغة والاسلوب، والاوزان والقوافي، والصنعة الشعرية. وبعمله هذا تجاوز عيباً من عيوب المنهج التأريخي. كما تجاوز أيضاً خطراً من أخطاره حين قام باستقراء شعر المشهورين والمغمورين من الشعراء الذين درسهم. وهذه التفاتة علمية طيبة إذ أننا قد نجد عند الشعراء المغمورين كثيراً من صور البيئة مما قد لانجده عند المشهورين منهم.

ولم يتوقف بحثه عند هذا الحد، وإنما عمل ملحقاً له، قدم فيه تراجم وافية للشعراء الكتاب الذين قام بدراستهم، مما تهيأ له من مصادر أخبارهم وأشعارهم، ولم يجعل هذه الفقرة من البحث ضمن مضمون بحثه، لأنه رأى أن مثل هذا الصنيع يصيب منهج البحث الاكاديمي بالخلل. [2] ولكن المنهج التأريخي في بحث الأدب لايؤيد هذه الفرضية. بل على العكس من ذلك فان خلو متن بحثه من تراجم شعرائه موضوع الدرس يعدّ عيباً في منهج البحث الأكاديمي.

وترك لنا الباحث ملاحظاته المنهجية في دراسته هذه، ومنها أنه يرى أن دراسة الشعر على أساس الظاهرة، أو الفن الشعري حسب الاقاليم الجغرافية أكثر نفعاً من دراسته في الأمصار الحضارية، ((لأن دراسة من هذا النوع تتيح للباحث قدرة البحث والتنظيم، والتحليل والنقد، والاستنتاج والابتكار، كما أن مثل هذا النهج يكون منزهاً عما يمكن أن يكون مطعناً في دراسة المصر جراء مايكتنف تلك الدراسة من مشاكل ومصاعب تقود الى كثير من الحيف والزيف إذا لم يخلص الباحث النية، ولسنا نقول هذا اعتباطاً، أو رجما بالغيب وانما نقوله استناداً الى اعتراف من عانى هذا النوع من الدراسة)). [3] والأعتراف الذي يشير اليه في النص المتقدم يقصد به باحثين عراقيين

---

[1] ينظر: الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري: 467-468.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 13.

[3] الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري: 469.

درسا الشعر قبله في مصرين من أمصار العراق، هما أحمد جاسم النجدي الذي درس (الشعر في البصرة)، ومحمد حسين الأعرجي الذي درس (الشعر في الكوفة). فقد اعترف هذان الباحثان بالصعوبات التي يواجهها الباحث حين يتخذ من أحد الأمصار بيئة لبحثه. ومن تلك الصعوبات مسألة توثيق النص، والوقوف على ماقيل من شعر الشاعر في هذا المصر لاخارجه. لذلك يذكر العلاق بأن النجدي لم ينجو من مآخذ هذه المسألة، وانه يعترف بالصعوبة التي واجهها حين قال: ((وقد أبعدت . قدر الامكان ـ الشعر الذي قيل خارج البصرة سواء قاله شعراء بصريون أم شعراء طارئون كانوا يلمون بالبصرة، ولم استعن بمثل هذا الشعر الا نادراً لضرورة قصوى اقتضتها الناحية الفنية)). [1] كما أنه يذكر اعتراف الأعرجي بهذا الصدد، ذلك الاعتراف الذي يدل على شدة معاناته في مسألة توثيق النص، والذي يدل عليه قوله: ((وفيما يخص البيئة وجدت أن بعض الشعراء . كأبي حكيمة . قد هجروا الكوفة، ولم أعرف إذا كان قد قال هذه القصيدة أو تلك قبل هجرته أو بعدها، فكان أن اتخذت من اتجاهات الشعراء المقيمين في الكوفة دليلاً على شعر أولئك المهاجرين، فان تفرد شاعر مهاجر . ونادرا هذا . باتجاه حاولت إهمال دراسة اتجاهه . أما إذا وجدت أن اتجاهه سبق أن طرقه شعراء الكوفة الذين سبقوه عددته شعراً كوفياً)). [2]

إن عرض العلاق لاعترافات هذين الباحثين بالصعوبات المنهجية التي اصطدما بها في دراستيهما، لكي يبين بأن منهجه الأقليمي الجغرافي أدق من منهج المدن الحضارية الذي أتبعاه. ولكن مع كل ذلك فنحن لانسلم بالدقة المطلقة للمنهج الاقليمي، على الاقل لان النتائج التي يتوصل إليها نتائج نسبية لاتؤثر كثيراً في مسيرة الأدب وخصائصه عند أمة بعينها مثل أمتنا العربية. ثم هناك باحثون من ذوي النظر يجدون فيه بعض الثغرات، ومنهم مثلاً شوقي ضيف الذي يرى أن من الخطأ محاولة تحكيم قانون البيئة في الشعر العربي، كأن نحاول في الشعر المصري أو العراقي أو الاندلسي

---

[1] الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث الهجري، أحمد جاسم النجدي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب . جامعة بغداد 1972: 2-3.

[2] الشعر في الكوفة منذ أواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد حسين الاعرجي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب . جامعة بغداد 1973: 2.

أن نقيم فواصل بينه وبين الشعر العربي في الأقاليم الاخرى. لأن الشعر العربي لم يتفاصل في أدبه، وإن كان هناك تفاصل في السياسة، ولكن ذلك لم يؤد الى شعور الادباء بالتفاصل، بحيث يجعلهم يحسون بأنهم يعيشون في بيئات مستقلة بعضها عن البعض الاخر في الشؤون الادبية والفنية. [1] لذلك يمكن لنا القول بأن الرؤية الموضوعية والفنية لهذا الاقليم أو ذاك من أقاليم الأمة الواحدة لها تأثيرها المتبادل في أدب تلك الأمة. وهذا من شأنه أن يخلق تجانساً فكرياً في مستويات المنطلق الأدبي، من غير أن ننكر التأثير الجزئي للبيئة.

ودرس فاضل عواد الجنابي (الحياة الاجتماعية في العراق من خلال شعر القرن الثالث الهجري). فاتبع منهج العلاق الذي سبقه في دراسة الظاهرة الشعرية حسب الأقاليم الجغرافية. فاتخذ من صورة المجتمع البيئية ناطقاً بعاداته وتقالبده وقيمه. فضلاً عن اتباعه نظرية (تين) في تحديده للعراق (مكاناً لدراسته)، والقرن الثالث الهجري (زمناً لها). وكذلك اعتماده المنهج الاجتماعي أيضاً أدرك الجنابي أهمية الشعر في الكشف عن كثير من حقائق التاريخ، بوصفه ديوان العرب، فرصد الكثير من الأحداث التأريخية، وصور الحياة الماضية مما لم تلتفت لها كتب التاريخ، ويرى بأن ((الشعر وثيقة تأريخية تستحق الاستقصاء والتحليل والاستنتاج من خلال البحث الجاد والبحث العلمي، لما فيه من الحقائق والمعارف القيمة والآراء السديدة)) [2] وحقاً أن الشعر في غالب الاحيان ينقل الينا حقائق الحياة بصورة صادقة بعيدة عن الزيف والرياء، لما فيه من ذاتية، فهو رؤية الوجدان، والأحاسيس العميقة للأنسان.

وقف الباحث عند موضوع الصداقة واثرها في الحياة الاجتماعية، فبين أسباب تطورها ونمائها من جهة، أو تصدعها وتدهورها من جهة أخرى. كما بين أثر الحضارة وروح العصر في اجتماع الإضداد والاجناس المختلفة والأعراف المتباينة. ثم عرج على ذكر الاساليب التي اتخذها المجتمع لردم الخلافات وإعادة الأواصر المنقطعة،

---

[1] ينظر: البحث الادبي (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره): 90-91.

[2] الحياة الاجتماعية في العراق من خلال شعر القرن الثالث الهجري، فاضل عواد الجنابي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب . الجامعة المستنصرية 1989: ج.

ومن تلك الاساليب، العتاب، والاعتذار، والمواساة، والزيارة، والشفاعة والجاه، وغيرها. وذهب الى أن سبب الترابط الاجتماعي بين الناس، هو التجانس في الطباع والاخلاق، ولكل آمرئ من يشاكله في السلوك والرأي والمذهب.[1]

ويدل على ذلك بقول أبي تمام: [2]

وقلت أخي قالوا أخ من قرابة فقلت نعم إن الشكول أقارب وإن
نسيبي في عزم ورأي ومذهب باعدتنا في الأصول المناسب

ووقف ايضاً عند موضوع العلاقة الأسرية وحسن الجوار، ومايتشأ من المؤازرة بين أبناء الأسرة لمقاومة المتغيرات والاحتمالات المتوقعة، لأعادة التوازن والاستقرار لحياتها. وانتقل من ذلك الى الحديث عن أثر الغناء والجواري في الحياة الاجتماعية، فضلاً عن المعتقدات والعادات والاعراف الاجتماعية الأخرى. [3] فربط تلك الصور الاجتماعية وما يجري فيها من تفاعل مع متغيرات البيئة وواقعها الاجتماعي، ومايكتنفه من مضامين، معتمداً في ذلك على أساليب الشعراء في كيفية تعاملهم مع هذا الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه، ويخضعون له. ويرى أن للسلوك الاجتماعي أثر في لغة الشعر، فقد وجد أن لغة العتاب تختلف عن المواساة والاعتذار بسبب اختلاف لغة السلوك الاجتماعي وأساليبه المختلفة في معالجة مشاكله. [4]

ثم أخذ في دراسة السمات الفنية للشعر، باقامته موازنة بين اللفظ والمعنى. كما درس الوزن والقافية، واللغة والاسلوب، فتحدث عن الاسلوب القصصي الذي عده خصيصة فنية في الشعر آنذاك. ومما وصف به لغة الشعر، قوله: ((إن اللغة الشعرية تأثرت بمصطلحات الفقه والنحو والصرف والعروض، وما جاء به أهل الكلام من مفاهيم ومصطلحات وغير ذلك من العلوم والمعارف التي تأثر بها الشعر وباتت في لغته، سبب تلك الوثبة الحضارية الجبارة التي أحاطت وأثرت في كل روافد الحياة

---

[1] ينظر: الحياة الاجتماعية في العراق من خلال شعر القرن الثالث الهجري: 10.

[2] ديوان ابي تمام (الديوان الكامل)، مراجعة محمد عزت نصر الله، دار الفكر للمجميع، بيروت: 208.

[3] ينظر: الحياة الاجتماعية في العراق من خلال شعر القرن الثالث الهجري: 215.

[4] ينظر: المصدر نفسه: 497.

ومساراتها الفكرية والأدبية والفنية والاجتماعية وغير ذلك من المجالات التي تحركت في أفلاكها صور الحياة العباسية كلها)) [1]

وبدراسته خصائص الشعر الفنية سلم من أحد عيوب المنهج التأريخي، وتخلص من واحد من أخطاره حين استقرأ شعر الشعراء المشهورين والمغمورين. ومع ذلك فان منهجه لم يتسم بالسبق العلمي . كما قال . لأنه لم يختلف بشيء ذي بال عن دراسات الباحثين الذين سبقوه في اتباع هذا المنهج. [2] بل الذي نلاحظه أن في دراسته تقليد لايخفى، للدراسات السابقة عليه في معالجة موضوع الشعر في ضوء البيئة.

وكتبت أمل ناجي محمد علي الدليمي، دراسة حول (الشعر العربي في أصفهان في العصر العباسي). فذكرت أن مدينة أصفهان تستحق العناية والاهتمام لقلة الدراسات المنهجية عن الشعر فيها. وحددت منهجها بقولها: ((لقد اعتمدت في بحثي المنهج التأريخي الذي مكنني من الإحاطة بمؤثرات العصر السياسية والاقتصادية والفكرية، كما اعتمدت المنهج التأريخي التحليلي في قراءة النصوص واستقراء ظواهرها الفنية وتحليلها ونقدها)). [3] وتقصد بالمنهج التأريخي التحليلي، تحليل الظاهرة الادبية ونقدها. بدأت الباحثة دراستها بالتعريف بمدينة أصفهان واستعراض تأريخها، وغلب على هذا الجزء من البحث المنهج التأريخي. أما الجزء الأخر فكانت دراستها له دراسة موضوعية فنية، معتمدة على المنهج التأريخي التحليلي، والتزمت بالمسار الذي رسمته لبحثها.

وأدركت مشكلة دراسة الشعراء في بيئة واحدة، لأنهم لاينتمون كلهم الى هذه البيئة، لذلك وجدت نفسها مضطرة الى تقسيمهم الى قسمين: الاول (الشعراء الاصفهانيون)، والثاني (الشعراء الوافدون). [4] واصبحت معلومة تلك الانتقادات التي

---

[1] الحياة الاجتماعية في العراق من خلال شعر القرن الثالث الهجري:492.

[2] ومنها دراسة العلاق (الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري).

[3] الشعر العربي في اصفهان في العصر العباسي، امل ناجي محمد علي الدليمي، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية التربية (ابن رشد) . جامعة بغداد 2000: 3.

[4] ينظر: الشعر العربي في اصفهان في العصر العباسي: 4.

وجهت الى المنهج الاقليمي بسبب هذه المشكلة. [1] وعند دراستها لموضوعات الشعر في هذه المدينة لاحظت أنه لم يطرأ عليها تغيير كبير، إنما كان جزئياً، وحدث استجابة لروح العصر ((إن هذا الشعر دار في فلك القديم لكنه بنفس جديد)). [2]

وتناولت بالدرس أغراض الشعر التقليدية من مدح، وفخر، ورثاء، وغزل، وهجاء، وغيرها، عارضة اتجاهاتها، موضحة تباين الشعراء في تناولها. كما درست الاغراض التي توسمت فيها الجدة من وصف، وشعر يعرض ظواهر اجتماعية مختلفة، مثل شعر الاطعمة والشراب، ووصف أدوات الكتابة وغيرها، فقالت: ((إن هذه الاغراض المستحدثة قد ساهمت في اثراء الشعر العربي في اصفهان وجعلت له أمارات واضحة)). [3] أما شعر الوافدين فوصفته بأنه كان تقليدياً في الفاظه وأساليبه وصوره ومعانيه، لاسيما في المديح والفخر والشكوى، وأنه يلتزم نهج القصيدة العربية القديمة. [4] لكنه في أغراض اخرى كالحنين الى الوطن، فيندمج معه الشعراء بمشاعرهم وأحاسيسهم، لبعدهم عن ديارهم، لذلك تتجلى فيه تعبيراتهم الصادقة. [5] وفي دراستها الفنية أقامت موازنة بين أغراض الشعر ومعانيه من القلة والكثرة عند شعراء اصفهان والوافدين عليها، وعللت ذلك بما أوحى لها واقع الدراسة، فتقول: ((لأن بعض الاغراض أكثر صلة بأبناء اصفهان وهم بحاجة الى الخوض فيها والتعبير عنها، في حين لم تكن قوية الصلة بالذين وفدوا إليها، إذ كانت هناك أغراض تشغلهم، لاتمت بصلة كبيرة الى ابناء أصفهان أنفسهم، ومن هنا تتفاوت النسبة بين قلة هذا النوع من الشعر وكثرة ذاك عند مقاصد الشعراء)). [6] ودرست مقدمات القصائد ومطالعها في ضوء النقد العربي القديم، فوجدت أن المقدمة عبرت عن حاجة نفسية اولاً ثم اصبحت

---

[1] ينظر: مناهج الدراسة الأدبية في الادب العربي: 208. وينظر ايضاً، البحث الادبي (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره): 90.

[2] الشعر العربي في اصفهان في العصر العباسي: 48.

[3] المصدر نفسه: 130.

[4] ينظر: المصدر نفسه: 165.

[5] ينظر: المصدر نفسه: 192

[6] الشعر العربي في اصفهان العصر العباسي: 193.

تقليداً نهجه الشعراء في بعض قصائدهم. [1] ولايخفى على الباحث المطلع أن كثيراً من ارائها في الشعر قد سبق إليها باحثون قبلها، فليس هناك من جديد مبتكر فيما تطرحه من هذه الاراء. وتحدثت عن الصورة الفنية، وتوصلت الى أن الايقاع الموسيقي يلعب دوراً بارزاً في تجسيد المعنى ورسم الصورة.[2]

ودراستها للخصائص الفنية أبعدها من الانتقاد الذي يوجه للمنهج التأريخي، ولكنها اعتمدت في شواهدها الشعرية على شهرة الشاعر، ووفرة شعره، وأهملت الأخرين، فوقعت في عيب من عيوب المنهج الذي بنت دراستها عليه. ومن العرض السابق لهذه المجموعة من الدراسات وجدت أن المتأخرة منها، لاسيما التي كتبت في العقدين الثامن والتاسع من القرن الماضي ماهي الا اجترار في افكارها واسلوبها وطروحاتها للدراسات التي سبقت عليها. فلم يكن هناك تطوير للمنهج، أو انطلاقة فكرية جديدة تثري الدراسة وتبعدها عن التقليد والرتابة.

2. دراسات الشعر في الامصار الحضارية:

من أقدم الدراسات العراقية في هذا المنهج (الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري) التي كتبها أحمد عبد الستار الجواري. واتبع فيها نظرية (تين)، فاتخذ من بغداد مكاناً للدراسة، ومن القرن الثالث الهجري زماناً لها. فضلاً عن اتخاذه شعر بغداد وثيقة تاريخية وبرهاناً على أقواله ونظراته. في المقدمة يشيد الجواري بالمنهج الذي اتبعه، ويعده جديداً على الدراسات الجامعية العليا، وعلى الدرس في الأدب العربي القديم، ويرى أن نهجه هذا أدنى الى طبيعة البحث العلمي، وأن الدارس يخرج منه بنتائج قيمة خطيرة. [3] ويتحدث عما يجب أن تكون عليه الدراسات التي تخص الشخصيات والبيئات والفنون الأدبية. فيرى أن دراسة الشخصية تقتضي من الباحث أن يتبين مكانها من التأريخ، فيصلها بالسابق الذي أثر فيها، وباللاحق الذي تأثر بها.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: 235.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 273.

[3] ينظر: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي، ط2، بغداد 1991: 10 (وهي اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب . جامعة القاهرة سنة 1953).

ووصلها أيضاً بما أحاطها فتأثرت به، أو أثرت فيه. ويعني كل ذلك أن يتجه البحث اساساً الى البيئة الأدبية الخاصة. [1] أما عن دراسة البيئات فيقول: ((أما البيئات العامة فلم يكن معناها ملحوظاً في وضوح، أو مقرراً مفهوماً في تلك العصور، وإنما نحن نفرض مفهومها في كثير من الأحيان على الدراسة والبحث، نستوحي ذلك المفهوم من ظروف حياتنا الحاضرة ونستلهمه من التقسيم الجغرافي الذي نعرفه اليوم)) ويواصل قوله: ((وهو تقسيم أصلته عوامل ومؤثرات ليست كلها طبيعية، بل ليس اكثرها كذلك، بل لعل كثيراً منها مصطنع مقصود قضت به إرادة اجنبية معروفة غاياتها، مفهومة أغراضها ووسائلها)) .[2] فهو هنا يلفت النظر الى مسألة مهمة وهي اختلاف مفهوم البيئة في الماضي عنه في الحاضر. وعليه فانه يتطلب من الباحث الحذر، وأن لايجعل مفهوم البيئة حاضراً بديلاً لمفهومها ماضياً، بل عليه أن يرتقي بعقله ووجدانه ليتمثل البيئة في التأريخ الذي يجري بحثها فيه قدر الامكان، لكي تكون نتائج البحث أقرب الى الصحة والواقعية.

واما دراسات الفنون الأدبية، فوجد أنها في غالب الأحيان تغفل دراسة البيئة واثارها الخطيرة في الأدب بما يتناسب مع تلك الخطورة، وتتجاوز عن وصل الادب بشخصيات منشئيه، وعما يخص تلك الشخصيات من تكوين وعناصر ومؤثرات. [3] وفي هذا يتفق الجواري مع شكري فيصل الذي يذهب الى أن الدراسة وفق الفنون الادبية تهمل أثر البيئة، وتفصل بين الابداع ومبدعه. [4]

والجواري فيما مضى من حديثه يحاول أن يصل الى تأكيد جدوى المنهج البيئي وصحته، فيقول: ((ولعل دراسة البيئات الخاصة أقرب الى الكمال، وأبعد عن المآخذ التي وصفتا، ذلك لأن على الباحث أن يجمع فيها بين دراسة البيئة المحدودة الواضحة المعالم وعلاقتها بشخصيات الادباء والشعراء، وما أحدثت في الفنون الأدبية من تطور

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: 11. -

[2] ينظر: المصدر نفسه: 11.

[3] ينظر: المصدر نفسه: 12.

[4] ينظر: مناهج الدراسة الادبية في الادب العربي: 84.

وما أنشأت فيها من تجديد)). [1] ويمضي مع نظراته البيئية، فيرى أن دراسة البيئة الخاصة بعيدة الى حد كبير عن تحكم المفاهيم المعاصرة التي تفرض على الواقع التأريخي مالم يكن مفهوماً فيه، كالتقسيم الجغرافي المصطنع الذي يعيشه الوطن العربي اليوم. فضلاً عما يراه من وضوح معالم البيئة في التكوين الاجتماعي. [2] وانتهت به طروحاته الى الظن بأن المنهج الأقليمي أيسر على البحث العلمي المتعمق، واكثر ضماناً للحكم الصادق الدقيق والنتائج القريبة من التحقيق. ونحن لانوافقه كل الموافقة على ظنه هذا، لأن الأدب العربي له خصوصيته ((ولايفهم إلا في اضواء هذا التشابك وهذه الصلات بين الأقاليم)). [3] وبعد، فان الاحكام الصادقة الدقيقة، والنتائج المحققة لايمكن أن نقترب منها في ضوء منهج واحد بعينه، لأن نظر الدراسة سيكون موجهاً باتجاه واحد. لذلك فأن الاستعانة بالمناهج الأخرى يثري دراسة الأدب، ويكشف عما خفي من قضاياه.

وصف الجواري تكوين المجتمع البغدادي، وفصل القول في حياته الاجتماعية والعقلية. فحصر عناصر الحياة الاجتماعية بعناصر ثلاثة: أولها: ذلك الثراء العريض الذي كان ينصب في أيدي الخلفاء من منابع عديدة. وثانيها: حياة عقلية راقية بلغت من النضج مبلغاً، ووفدت الى بغداد من كل مكان. وثالث العناصر، حركة فنية وغنائية، وحياة طربة مترفة بدأت في الحجاز، وانتقلت الى الشام والكوفة بعد ذلك، ثم استقرت في بغداد في اخر المطاف، ونضجت ثمارها فيها. [4] ومن هذا الوصف انطلق في بيان تأثير البيئة بعواملها المتعددة في مسيرة الشعر وما رافقه من تطور وتجديد، متتبعاً تلك المسيرة منذ القدم حتى عصر بغداد، مركزاً على تصوير حالة الصراع بين المحافظة والتجديد التي مرّ بها الشعر العربي. [5] ثم عرض مظاهر التجديد في شعر بغداد آنذاك. فكان هناك جديد في الموضوع، والفكرة والاسلوب، والوزن والقافية. وبين مالهذا الجديد من

---

[1] الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري: 12.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 12.

[3] مناهج الدراسة الادبية في الادب العربي: 220.

[4] ينظر: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري: 21–36.

[5] ينظر: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري: 231–254.

قيمة وأثر في تاريخ الشعر العربي. وبعد ذلك عمد الى تقسيم الشعراء حسب مذاهبهم الشعرية التي ظهرت انذاك، فوجدهم اقساماً ثلاثة: مجددين، ومتفننين، ومقلدين. [1]

يتضح في الدراسة طابع الأثر الحضاري في البيئة، حيث اعتمد عليه في تفسير ظواهر وأمور كثيرة. فبين أن لبيئة بغداد أثر في إشاعة روح الحضارة عند الشعراء. فبدت مظاهرها المادية واضحة في اشعارهم، ويتجلى ذلك في الخيال والاسلوب والصور، والاقتباس من مظاهر البيئة وعادات المجتمع ودياناته. وكان ظهور البديع دليلاً على ماكان يتمتع به المجتمع في ذلك العصر من مستوى حضاري يتناسب مع حاجة المجتمع ومتطلباته. وعن أثر الحياة في تصنيع الشعر يقول شوقي ضيف: ((وآخذ هذا التصنيع والتنميق يتسرب من حياة الشعراء العامة الى حياتهم الفنية الخاصة، وهي حال طبيعية توجد دائماً في الصنائع حين يعم الترف، فأذا هي تتحول الى زخارف دقيقة، وليس الشعر وحده الذي أخذ يسود فيه هذا التصنيع)). ويتابع قوله: ((فقد كان يشيع في فن العمارة وبناء المساجد والقصور، كما كان يشيع في التصوير الذي كان يستخدم زينة وزخرفاً للكتب والقصص، فلا عجب أن ينتقل الى الشعر والشعراء وأن ينمو مع الزمن حتى تصبح القصيدة كأنها واجهة لمسجد مزخرف بديع)). [2]

والملاحظ على هذه الدراسة غلبة الطابع التأريخي الاجتماعي على الطابع الفني. كما يلاحظ تأثرها بطبيعة البحث الادبي وأسلوبه عند الباحثين المصريين انذاك، من امثال شوقي ضيف وغيره. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت دراسة رائدة في موضوعها ومنهجها، إذ مهدت لدراسات أخرى كثيرة بعدها أفادت من منهجها وأفكارها، سنعرج على ذكرها فيما يأتي من الدراسة.

وقريب من الدراسة السابقة دراسة الباحثة وديعة طه نجم، الموسومة (الشعر في الحاضرة العباسية في القرنين الثاني والثالث للهجرة). وعنوان دراستها يدل على انها وضعت نصب عينها نظرية (تين) عن الزمان والمكان. فأعطت فكرة عن الحاضرة

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: 257.

[2] الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط5، مصر1965: 174. ويقصد ضيف بـ(التصنيع) لفظة البديع، فقد كان يفضل استخدام اللفظة الاولى على الثانية، لأن لفظة البديع، تعني الطريق ولا تعطي معنى الزخرف والزينة، والتصنيع اكثر دلالة على التأنق والتنميق. ينظر: (المصدر نفسه: 176)

العباسية وظروفها السياسية والاجتماعية، والنشاط الفكري للمدينة. ومزجت بين الشعر وهذه الظروف المختلفة مبينة أثر الامتزاج الحضاري لبغداد مع أبناء الأمم الأخرى، والتطور الذي حصل فيها، وفي شعر شعرائها. [1] فتعرضت لعلاقة الشعر بالحياة السياسية من ناحتين: الاولى: الشاعر والسلطة العباسية، والثانية: الشعر والنشاط السياسي. [2] كما تعرضت لعلاقته بالحياة الاجتماعية، وحاولت أن تتعرف على منزلة الشاعر في مجتمع الحاضرة، فادركت حقيقتين: أولاهما: ماكان للشاعر من منزلة خاصة عند العرب ظل يتمتع بها طيلة العصر الاسلامي الاول. والحقيقة الثانية، أن المجتمع العباسي لم يكن مجتمعاً طبقياً بحيث يمكن أن تقف الفوارق الطبقية بين أفراده عن الرقي الاجتماعي، على الرغم من وجود الفوارق الكبيرة بين اولئك الأفراد في الكسب، ووجود العصبيات القومية كذلك. وعلى هذا الاساس من انتفاء الطبقية أصبح الشعراء الموالي ركيزة الحياة الشعرية وعمادها انذاك هكذا كان توجيه الباحثة لهذه المسألة. [3]

وبينت أن هناك ظواهر كانت تتردد كثيراً على ألسن رواة هذا العصر ومؤرخيه، منها ادعاء كثير من الشعراء الموالي نسباً عربياً صليبة لا ولاء. وعللت ذلك بأنه لم يكن صادراً عن اعتزاز بالنسب العربي، أو أنه كان يصدر بسبب الشعور بالاضطهاد، بل السبب في ذلك هو اعتزاز هؤلاء الأدعياء بعظيم مقدرتهم الثقافية العربية التي عاشوها واتقنوا أصولها، وشدة تمرسهم فيها. وأن الشاعر منهم كان يحتمي بهذا النسب من ألسن الشعراء الحادة، ويأمن هجاءهم حيث نجد أن ولاء بعضهم للقبائل العربية ذات المكانة العالية كان رادعاً لشعراء كبار من مهاجمتهم، كالذي نجده من تهيب بشار عن هجاء سلم الخاسر لادعائه ولاء آل ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) [4] وهكذا نجد أن

---

[1] ينظر: الشعر في الحاضرة العباسية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وديعة طه نجم، مطابع دار السياسة، ط1، الكويت 1977: 25.

[2] ينظر: المصدر نفسه 45.

[3] ينظر: المصدر نفسه: 94.

[4] ينظر: الشعر في الحاضرة العباسية في القرنين الثاني والثالث للهجرة: 95.

الباحثة قد اعتمدت الوثائق والروايات التاريخية في مناقشتها لكثير من الظواهر الأدبية.

وذهبت الى أن التطور الحاصل في مفاهيم الأدب العربي والبلاغة والشعر وغيرها، يرجع الى الأدباء الذين استطاعوا أن يطوعوا تلك المفاهيم للحياة الحضرية. وان الصراع بين العرب وغيرهم من الاقوام الأخرى كانت له نتائج ايجابية كثيرة دفعت بحركة الأدب خطوات حثيثة الى الأمام. ثم عرضت لثقافة شعراء الحاضرة، وانفتاحهم على المؤثرات الخارجية التي لعبت دوراً فعالاً في حياة الحاضرة الاسلامية، حتى أخذت الحاضرة تجتذب كثيراً من الشعراء على اختلاف مشاربهم، وأصول ثقافاتهم، وبيئاتهم الاولى، فتلونت حياتهم العقلية بألوان زاهية، وامتزجت ببعضها لتنجب هذه الثقافة الجديدة. [1] وأختارت ابا نواس ممثلاً للحاضرة العباسية ومعبراً عن ظواهر مجتمعة في شعره وسلوكه، وما كان له من أثر في مسيرة الشعر العربي. [2]

ومما يؤخذ على منهجها أنها جعلت الشعر تابعاً للسياسة. في كثير من أموره، فكأنه يعبر عن إرادتها، ويتلون برغبتها. وغاب عنها أن أثر السياسة لايكون الا جزئياً في الشعر، وهو واحد من مؤثرات كثيرة. ثم ركزت على الجانب الاجتماعي والحضاري، واعطتهما فوق ما يستحقانه من أهمية، وفسرت كثيراً من ظواهر الشعر وقضاياه في ضوء هذين الجانبين. ومما تؤاخذ به أيضاً أنها لم تتعرف على موضوعات شعر الحاضرة العباسية، ولن تتبين اسلوب الشعر وصوره، واوزانه وقوافيه، ولغته في دراسة فنية تقيمها، ولم تشخص الجديد مما آل اليه موضوع الشعر في الحاضرة على المستويين الفني والموضوعي. فباغفالها للدراسة الفنية تكون قد سمحت بتسلل عيب من عيوب المنهج التأريخي الى دراستها. كذلك لم تعتمد استقراء شعر الشعراء كلهم من مشهورين ومغمورين، بل اقتصرت على شعر البارزين فحسب. وهذا من اخطار المنهج التأريخي. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الدراسة ذات قيمة علمية عالية لما اتسمت به من موضوعية واستقراء دقيقين.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: 129.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 169.

ثم ظهرت دراسة أحمد جاسم النجدي (الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث للهجرة) التي جاء في مقدمتها أنه لايمكن أن يقام تاريخ ادبي قوامه أربعة من الشعراء أو خمسة، ومن ثم يطمئن الى صحته وصوابه. [1] لذلك قام النجدي بدراسة شعراء القرن الثالث ممن حرموا عناية الباحثين. وعمد الى ذلك ليتمكن من تكوين صورة صحيحة صادقة لشعر هذا القرن يمكن الاطمئنان إليها. ويحاول ان يحدد منهجه في قوله: ((والشعراء الذين أهملهم الباحثون من الكثرة بحيث لايمكن أن يقوم بدراستهم بحث يتطلب الدقة والصواب، ولهذا كان لابد من دراستهم طوائف واقساماً مستقلة بحسب البيئة أو الاتجاه الفني، ومن هنا خطرت لي فكرة دراسة الشعر في البصرة)). [2] فهو يفصح عن اتباعه المنهج الاقليمي، بوصفه يقوم على الدقة والصواب، وعند جمعه بين البيئة والاتجاه الفني في دراسته، كانت أقرب الى الدقة التي أرادها. وحاول أن يحدد مدة القرن الثالث الهجري، فاعتمد وفيات الشعراء الذين اعتمد شعرهم، مابين سبع وعشرين ومائتين وسبع وعشرين وثلاثمائة، يقول: ((ومثل هذا الزمن . فيما أرى . يمكن أن يصدق عليه اسم القرن الثالث، اذا اعتبرنا فترة الاضطراب السياسي الذي كان سمة لهذا القرن، والذي ظهر قويا في الفترة الزمنية التي اشرت إليها)). [3] ونوه بأن هذا التحديد السنوي أمر اعتباري غايته التقريب لا التحديد الدقيق، لأن الاتجاهات الشعرية لايمكن حصرها بعدد من السنين لاتتعداها. [4] وتحدث (نالينو) عن هذه المسألة من قبل، إذ بين أن الحدود الزمنية للاعصر العباسية ليست الا حدوداً صناعية اصطلاحية، ومن غير الممكن أن يحصر التأريخ السياسي أو تأريخ الاداب والعلوم في مواقيت معينة بدقة، وينطبق على ذلك سير الاداب في أنواعها وفنونها واتجاهاتها. [5]

---

[1] ينظر: الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث للهجرة:1.

[2] المصدر نفسه: 1.

[3] الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث للهجرة: 1.

[4] ينظر: المصدر نفسه: 1.

[5] ينظر: تأريخ آداب اللغة العربية من الجاهلية حتى عصر بني امية: 61-63.

وكغيره من الباحثين الذين ساروا على منهج (تين) واجهته مشكلة تعيين الشعر الذي درسه، فقرر أن يبعد . قدر الامكان . الشعر الذي قيل خارج البصرة سواء كان لشعراء بصريين أم طارئين عليها، ولم يستعن بمثل هذا الشعر الا في القليل النادر، ولضرورة فنية. [1] وكانت له وقفة عند مدينة البصرة، فتعرّف أحوالها العامة، السياسية والادارية والاجتماعية والاقتصادية والعقلية والادبية. وفي دراسته للشعراء قسمهم الى مكثرين ومقلين، ووقف عند مراحل حياتهم التي كان يرى أن لها فائدة في توضيح اتجاهاتهم التي نظموا فبها. ثم عرج على دراسة الاتجاهات الجديدة في الشعر سواء ما اختص منها بالقرن الثالث زمناً وبالبصرة مدينة، أو ماكان استمراراً لما عدّه الباحثون جديداً في شعر القرن الثاني الهجري. [2] فبين خصائص كل اتجاه، واسباب ظهوره، وطريقة الشعراء في تناوله، وتباين أساليبهم فيه.

ويلاحظ بروز الطابع الفني على دراسة النجدي، إذ كان يعلق على الاشعار تعليقات فنية، تبرز خصائص شعر الشعراء البصريين. ولكن فضلاً عن ذلك، قام بدراسة فنية لشعر هؤلاء الشعراء، من حيث اتجاهاتهم الشعرية التي حددها باتجاهين (تقليدي وجديد)، ودرس مظاهر هذين الاتجاهين من حيث (الصنعة الشعرية، والاوزان والقوافي). وكان حرصه على دراسة الناحية الفنية بسبب خشيته من ضياع تلك الخصائص الفنية في ثنايا البحث. ولم يقتصر على دراسة الشعر فقط، وإنما عقد فصلين لدراسة الشعراء أيضاً. ومن هنا جاء عنوان دراسته مطابقاً لمضمونها. وبقيامه بالدراسة الفنية، وبحثه في سيرة الشعراء المشهورين والمغمورين، خلا منهج بحثه التأريخي من العيوب، فكان أقرب الى الدقة التي أرادها. وما دمنا في ذكر المنهج فان النجدي يلفت النظر الى ناحية مهمة وهي أن الدراسة البيئية بدأت عند العرب في القرن الرابع كما يتضح من منهج الثعالبي في يتيمته، والذي حمل الثعالبي على هذا المنهج هو تميز الاقاليم في زمنه. والنجدي بدراسته هذه يثبت . كما يرى . امكانية

---

[1] ينظر: الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث الهجرة: 2.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 107–204.

اجراء الدراسة الاقليمية في التاريخ الذي يسبق زمن الثعالبي، ويكون ذلك مجدياً تأريخاً وفناً. [1]

مما تقدم نجد غالبية الباحثين الذين كتبوا في ضوء المنهج الإقليمي وجهوا الدعوة الى الالتزام بهذا المنهج والكتابة فيه استناداً إلى أصوله ومبادئه. والنجدي كغيره، فقد كان من الناشطين والمتحمسين في هذه الدعوة، واخاله يشعر بالزهو والفخر بما حققه في دراسته يقول: ((إذا كانت دراسة الشعر في البصرة خلال القرن الثالث قد أدت الى مثل هذه النتائج، وفتحت مثل هذه الافاق ونبهت الى نقائص من دراساتنا، فإنها لتشجعنا على الدعوة الى دراسات خاصة بالأمصار الاخرى وفي مقدمتها الكوفة، لتتظافر الجهود ولتكون من مجموع هذه الدراسات الجزئية نظرة عامة)). [2] وبالفعل تحقق ما دعا اليه، إذ لم يمض زمن طويل حتى ظهرت دراسة عن الشعر في الكوفة وهي الدراسة اللاحقة وهكذا تتظافر الجهود فيفتح السابق للاحق نوافذ مضيئة من دراسة هذا الشعر الذي ازدانت به الآفاق، وتهذبت به النفوس.

وهناك حاضرة أخرى مهمة من حواضر العراق، كان لها دور كبير في الحياة السياسية والعلمية والأدبية لأمة العرب، على مرّ السنين والحقب، وهي الكوفة. وكان حق الشعر فيها أن يدرس، فانبرى محمد حسين الاعرجي لدراسته في رسالة عنوانها (الشعر في الكوفة منذ أواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث الهجري). اتبع الاعرجي في دراسته منهج (الانسون) في اعتماد الوثائق، فضلاً عن اتباعه نظرية (تين) في تحديد المكان والزمن. يبدأ البحث بالقاء الضوء على شخصية مدينة الكوفة، وجوانب حياتها المتعددة، السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن الحياة العقلية والأدبية. تتبع الباحث ذلك تتبعاً تأريخياً، وعند استعراضه تأريخ المجتمع الكوفي، قسمه الى طبقات ثلاث: الاولى: طبقة كبار الملاكين والتجار والدهاقين. والثانية: طبقة متوسطة من الحرفين وأصحاب الصناعات من الجنسين العربي

---

[1] ينظر: الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث الهجرة: 327.

[2] المصدر نفسه: 327.

والاجنبي. والأخيرة هي الطبقة الفقيرة، وجلّ أهلها من الفلاحين النبط وعامة الناس. [1] وفي هذا يعتمد المنهج الاجتماعي أيضاً وذكر أن الكوفة ليست بمعزل عما يجاورها من المدن، إنما شهدت منذ فجر تأريخها تلاقح ثقافتها العربية مع الثقافات الاخرى الوافدة. وسار الاعرجي على خطى سابقه النجدي في منهجه نفسه، وقلده في دراسته، من حيث تقسيمه الأغراض الشعرية. فدرس شعر السياسة، والعقيدة، والشكوى، والسخرية، والخمريات، والغزل، والوصف، وغيرها. ورأى ان شعراء الكوفة في ذلك أتخذوا الخمرة وسيلة من وسائل الترفيه عن النفس، واهتمامهم بها يدل على حاجة حضارية لدى الذين يقبلون عليها. [2] وفي الدراسة الفنية يذهب الى أن هذا الشعر يقترب من الأساليب الشعبية في لغته، ويدل ذلك على اقتراب الشعر من الحياة العامة، وعلى أن الشعراء ألصق بظروفهم اليومية، وحياتهم الاجتماعية من شعراء القرن الثالث الكبار. [3] وفي هذا يربط بين الشعر والبيئة، واتخذ من البيئة مرآة عاكسة لمسيرة الشعر.

ودرس كذلك الصنعة الشعرية، وأوزان الشعر وقوافيه، وتحدث عن مذهب الشعراء البديعي الذي كان يمثل روح العصر وذوقه. فقد شاع في الكوفة كما في غيرها، ويذكر أن بعضاً من هذا البديع في بيئة الكوفة كان يتصل بالكناية والتعريض. والمذهب بمجموعه يأتي طبيعياً الا في الجناس الذي كثر فيه التكلف، لاسيما في المديح. ويعلل بأن السبب في ذلك يرجع الى فقدان الرابطة بين المادح والممدوح، فلم يشعر الشعراء بالانشداد الى ممدوحيهم حتى يجودوا في أشعارهم، فاضطرهم ذلك الى تغطية الضعف الحاصل في قصيدة المديح بالصنعة المتكلفة. [4] ويذكر ايضاً أن الكوفة تميزت عن غيرها من الامصار الأخرى باهتمامها الكبير بشعر السياسة، والعقيدة، فيقول: ((فليس غريباً ألا نرى بين ايدينا كمية توازي ما وصل إلينا من شعر

---

[1] ينظر: الشعر في الكوفة منذ اواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث الهجري: 24..

[2] ينظر: المصدر نفسه: 160.

[3] ينظر: المصدر نفسه: 286.

[4] ينظر: الشعر في الكوفة: 286.

العقيدة بوجه خاص، وشعر السياسة بوجه عام، كما ليس من الغريب أن تكون شخصية الكوفة من القوة بحيث تنتقل الى وريثتها النجف التي بدأت تجتذب الأسر العلمية والعلويين إليها)). [1]

والذي يمكن أن نلاحظه في دراسة الأعرجي أنها كانت اتباعاً وتقليداً لدراسة النجدي قبله في المنهج أولاً وفي معالجة الأفكار والتعامل معها ثانياً. فربط بين البيئة والاتجاه الفني، وحلل الشواهد الشعرية تحليلاً فنياً مثلما فعل النجدي في دراسته. كذلك قلده في دراسة خصائص الشعر الفنية، وغيرها من المباحث التي تراعى في المنهج التاريخي، وبذلك تخلص من عيوب هذا المنهج مثلما تخلص منها النجدي قبله. لذلك يمكن القول بأن الباحثين قد توصلا الى نتائج متقاربة، ان لم نقل متطابقة في غالب الاحيان. وقد اشار الاعرجي نفسه الى وجود شبه كبير بين بيئة الكوفة موضوع دراسته، وبيئة البصرة موضوع دراسة النجدي، الأمر الذي أدى إلى أن يرى وجوهاً من الشبه في الاتجاهات واللغة والفن بين الحاضرتين اللتين ربما كان بينهما صلات متبادلة كالسفر أو التجارة أو الدراسة. ولكن الأعرجي لم يتوصل الى أسباب هذا التشابه البيئي بنصوص تاريخية تؤيده حتى يستطيع أن يحكم على أن الظروف المتشابهة يمكن أن تؤدي الى ظواهر متشابهة. [2] لذلك يمكن الاستنتاج بأن اتباع منهج بعينه من باحثين في الدراسة البيئية خاصة يؤدي الى الوصول الى نتائج متقاربة، ان لم نقل متشابهة، لاسيما اذا كانت الدراسة في المرحلة الزمنية ذاتها، ومع مدينتين تربطهما وشائج قربى كثيرة كالذي نراه بين البصرة والكوفة. وقد يكون ما تمخض عن الدراستين آنفتي الذكر من نتائج مصداقاً لما يراه شوقي ضيف من أن دراسة الأدب دراسة فاحصة تكشف أن البيئات المتباينة في طبيعتها الجغرافية والاجتماعية، وفي الاتجاهات الأخرى، هي بيئات متماثلة فيما تنتج من أدب وأدباء. ويرد سبب ذلك الى عدم وجود فواصل في الآدب. [3] ومع كل هذا وذاك يبقى لدراسة

---

[1] المصدر نفسه: 318.

[2] ينظر: الشعر في الكوفة: 340.

[3] ينظر: البحث الادبي (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره): 91-92.

الاعرجي هويتها الشخصية، وبصمات صاحبها الذاتية في جهده العلمي. لأن الدراسة اية دراسة لايمكن أن تكرر نفسها، فما بالنا بدراستين مختلفتين.

ثم يأتي دور استاذنا الفاضل الدكتور مشحن حردان الدليمي الذي درس (الشعر في واسط في العصر العباسي) .

أتبع الدليمي نظرية (تين) في تحديده للمكان والزمان، ومنهج (لانسون) في اعتماده الوثائق التاريخية والأخبار المروية، وتقصيه لجوانب البحث ومايخصه في بطون المصادر القديمة، فضلاً عن اتباعه الطريقة العلمية في مناقشة قضايا بحثه، وإبداء الآراء فيها. وادرك مشكلة تتعلق بمنهج البحث، وهي متى يعدّ الشاعر ممثلاً للبيئة موضوع الدراسة ؟ وقد حاول على وفق أسس محددة أن يبعد الشعراء الطارئين على واسط، والاخذ بشعر من نشأ فيها، وقضى مدة من حياته في ربوعها تسمح بتوفر الأثر الواسطي في نشأته وإبداعه. [1] ومن مميزات منهجه إيمانه بوحدة الادب العربي، فهي في نظره وحدة لاتتجزأ، وأن دراسته لشعر هذا الأقليم، ماهي إلا تسهيل لمهمة دراسة الأدب، وفي ذلك يقول: ((ولاتعني دراسة الشعر في إطار منطقة واسط تجزئة الشخصية الأدبية القومية وتفتيتها، فالأدب العربي وحدة لاتتجزأ إنما تلجأ البحوث الأكاديمية إلى هذه الدراسات المحددة في إطار الاقليم والمدينة لتسهيل مهمة دراسة الادب فيها، مع الاقرار بوجود بعض اثار البيئة وانعكاساتها في موضوعات الشعر خاصة، ولكن ليس بالحجم الذي يجعلها تختلف عن الادب العربي في صياغاته وموضوعاته العامة)). [2] ويتفق في مسألة وحدة الأدب العربي هذه مع شكري فيصل الذي يرى بأنه ان كانت هناك عناصر افتراق بين الأقاليم، فأن هذه العناصر ليست من العمق والأصالة بحيث تختفي وراءها عناصر الوحدة. [3]

---

[1] ينظر: الشعر في واسط في العصر العباسي، مشحن حردان الدليمي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب . جامعة بغداد 1993: 3.

[2] الشعر في واسط في العصر العباسي: 3.

[3] ينظر: مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي: 197.

لقد سلط استاذنا الضوء على مدينة واسط من حيث جوانب حياتها المتعددة من سياسية واجتماعية وفكرية مبيناً آثارها وانعكاساتها على مسيرة الشعر والشعراء فيها انذاك. [1] ومن ثم درس موضوعات الشعر عند الواسطيين من الشعراء، فوجدها تتمثل في موضوعات رئيسية يجمعها (المديح، والغزل، والهجاء، والشكوى، والشوق، والحنين). وأخرى ثانوية يمثلها (الاخوانيات، والتغزل بالقلمان، والخمرة، والوعظ والزهد والتصوف، والرثاء، والفخر). وجد أن المديح اغزرها، وردّ ذلك الى سببين: الاول: يتعلق بالشاعر الذي يطرق أبواب الفضلاء بمديحه للتكسب والارتزاق. والاخر يتعلق بالممدوح الذي كان يساعد على وفرة المديح. [2]

وشخص الدليمي ظهور اتجاه جديد في شعر المديح، كان وليد البيئة الواسطية تمثل ببروز جمهرة من الشعراء قصروا مدائحهم على السيد أحمد الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية التي تنسب اليه في التصوف، ولم يدفعهم الى هذا المديح التكسب أو المادة، وانما يدفعهم اليه حب الرفاعي والتقرب اليه، وواجب الانتماء الى طريقته. [3] وعلى الرغم من كون المديح هو الأغزر في واسط، ألا ان البحث وجده قليلاً في العصور العباسية الاولى إذا ما قورن بما في الأقاليم الأخرى من مدح. وأرجع الدليمي ذلك الى ان الشعراء الواسطين لم يكونوا من الشهرة بمكان حتى تسجل لهم، وتنقل عنهم كتب الأدب المعروفة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان السياسة هي التي ساهمت في ذلك، فلم يكن الشاعر الواسطي موالياً للحكومة ممثلة بالخلافة العباسية، ولم تثق الحكومة بشعراء واسط، والسبب في ذلك أن واسطاً كانت عاصمة للخلافة الأموية في العراق، بل كانت آخر معقل أموي يسقط بيد العباسين بعد سيل من الدماء. ومعلوم ما للسياسة من من أثر في ذيوع صيت الشاعر وشهرته. فضلاً عن تأخر

---

[1] ينظر: الشعر في واسط في العصر العباسي: 10-36.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 37.

[3] ينظر: المصدر نفسه: 37.

التاليف الادبي الذي يعنى بشعر الأقاليم وشعرائهم، فكان حظ الواسطين من الظهور على صفحات الكتب الأدبية قليلاً. [1]

أما غزل الواسطين فوجد أنه يتسم بالحشمة والعفة، وأرجع ذلك الى عدد من الاسباب منها، أن كثيراً من هذا الغزل جاء في مقدمات القصائد المدحية التي توجه للخلفاء والوزراء والأعيان، فلا يليق معها التهتك والخروج عن الذوق. ومنها أن قسماً من هذا الغزل كان لعلماء أجلاء منهم الفقيه والمتحدث والنحوي، واكثرهم من أصحاب التقوى والصلاح، فكانت اخلاقهم تنأى بهم عن التعرض للقول الفاحش. وسبب أخر يرجع الى بيئة واسط المحافظة، فكان شعراؤها يتحرجون من الإسفاف حين يتغزلون. فضلاً عن غلبة التيار الشعري الذي انشأه مهيار الديلمي، واستاذه الشريف الرضي من قبله، ومن صفة هذا التيار الالتزام والأخلاق والحشمة في الشعر عامة والغزل خاصة، ويرى الدليمي بأن هذا السبب هو الاكثر تأثيراً. [2] كما وجد ايضاً أن بعض موضوعات الشعر كالغزل بالمذكر، والخمرة لم تتأثر بالبيئة الواسطية حصراً، لانها لاتختلف في خصائصها عما يماثلها في الأقاليم الأخرى. وردّ ذلك الى خضوعها للمؤثرات نفسها. [3]

لم يغفل الدليمي عما يفرضه عليه منهج البحث التأريخي، فدرس خصائص الشعر الفنية للشعراء الواسطيين مبيناً نصيبهم من التقليد والتجديد فتحدث عن اللفظ والمعنى، واللغة الشعرية ومازينها من وجوه البلاغة. ورأى في هذا الشعر ميلاً الى التجديد، وميزات من السهولة والوضوح، وبعداً عن التعقيد والغموض. وعلل كل ذلك باسباب نجدها مبثوثة في ثنايا دراسته. [4] وامتد استقراؤه ليشمل كل شعراء واسط من مشهورين ومغمورين ممن تيسر له معرفتهم. فقد درس مائة وتسعة وعشرين شاعراً من

---

[1] ينظر: الشعر في واسط في العصر العباسي: 44-45.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 54-55.

[3] ينظر: المصدر نفسه: 91.

[4] ينظر: الشعر في واسط في العصر العباسي: 115-117.

المقلين عارضاً سير حياتهم وأشعارهم، ومعرفاً بمصادر دراستهم. وبذلك تجاوز أخطار المنهج وعيوبه.

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى . كلية التربية
قسم اللغة العربية
الاسم: نردين رضا كريم

م/ خلاصة رسالة الماجستير الموسومة

(مناهج دراسة الشعر العباسي {132–354هـ} عند الباحثين العراقيين في القرن العشرين)

تضمنت الدراسة مقدمة وتمهيد، وفصول اربعة. فالمقدمة بينت خطة البحث ومنهجه وما اشتمل عليه من محتويات، اما التمهيد فكان عن اهمية المنهج وتطوره في الفكر العربي والعراقي الحديث. حيث وضح اهمية المنهج وحتميته وقدمه، وحضوره في الفكر العربي الاسلامي، ورسوخ المنهجية في الدراسات العربية، كما وضح مناهج الدراسات العربية القديمة، واسباب الفقر المنهجي عند العرب في مطلع القرن العشرين وما سبقه، وما كان من عناية بالمنهج والمنهجية في الدراسات العربية في القرن العشرين، فضلاً عما اعطى هذا التمهيد من صورة عن منهج البحث الادبي في العراق في العصر الحديث، والأسباب التي ادت الى تطوره.

واما الفصل الاول فقد خصص للمنهج التأريخي، واشتمل على مدخل لهذا المنهج، وتوضيح لسماته وعيوبه، وما كان من عناية الباحثين الغربيين به واتباعهم له في دراساتهم. فضلاً عما كان من بيان لوجود اوليات هذا المنهج في التأليف العربي القديم، وشيوعه في التاليف العربي والعراقي في مطلع القرن العشرين وما بعده. وقسم هذا الفصل الى مبحثين: خصص الاول منهما للدراسات الاقليمية، حيث اشتمل على مدخل لهذه الدراسات، وبيان لسماتها وعيوبها، ومن ثم بيان لوجود الاقليمية في التاليف العربي القديم والاهتمام بها في الدراسات العربية الحديثة، والابانة عن تعدد الدراسات الاقليمية الاكاديمية عند الباحثين العرب المحدثين، ومن ثم عرض للدراسات الاقليمية عند الباحثين العراقيين المحدثين بحسب الاقاليم الجغرافية اولاً، والامصار الحضارية ثانياً. وخصص المبحث الثاني لدراسات السيرة الادبية، واشتمل على مدخل اليها، وبيان لسماتها وعيوبها، ثم بيان لتعدد دراسات السيرة